رد شبهة محاولة النبي – عليه الصلاة والسلام – الانتحار بعد فتور الوحي

أحمد عبد حسين العوايشه*

ملخص

يتناول البحث شبهةً ذكرها بعض أهل العلم – عفا الله عنهم – وهي قولهم: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– همَّ بالانتحار بعد فتور الوحي عنه، ويظهر البحث ضعف إسناد هذه القصة، بعرض آراء أهل العلم فيها، ولما تحويه من مآخذ حديثية، مع ذكر من ضعفها من العلماء قديماً، وحديثاً. ويتناول البحث ضعف البلاغ الذي ساق الإمام الزهري هذه الرواية به، ويتناول البحث أيضاً المخالفات العقدية المترتبة على الأخذ بهذه الرواية ، وإنها وإن سلمت حديثياً فهي لم ولن تسلم عقدياً؛ لما تحويه من طعن في مقام النبوة.

الكلمات الدالة: العصمة، الانتحار، شبهات، الوحي، الزهري .

* **كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.**

تاريخ تقديم البحث: 2016/10/31م. تاريخ قبول البحث: 19/4/ 2017م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020م.

Against the Allegation that the Prophet Intended to kill Himself during the Period in Which There Was a Break of Revelation

Ahmed Abid Husien Al-Awaisheh

Abstract

This research discusses one of the allegations mentioned by scholars, namely the claim that the prophet intended to kill himself during the period in which there was a break of revelation. The research shows the weakness of this narration in the light of scholars' views because of some criticism that the narration includes from a hadith perspective. The research mentions those who rejected the narration in question whether in modern time or before, the research also shows the doctrinal criticisms of this narration which is considered against the prophet's message.

Keywords: Infallibility, Suicide, Allegations, Revelation, AL-Zuhri .

المقدمة:

يقول صلى الله عليه وسلم-: يكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت- حذيفة بن اليمان-: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم قوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا". (Ibn Majah, W.D).

يصف الحديث السابق طائفة من المعتدين على الدين، الذين يصدون الناس عن دينهم، ويغتر الناس بهم لأنهم يتحدثون بألسنتنا وفي عقيدتنا، وتزداد الثقة بهم لأنهم من بني جلدتنا، وليسوا من أعداء الإسلام ليفحص كلامهم أو يشك بنواياهم.

وهذا ما ينطبق على كل مشاغب على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة من تعرض لأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، صحيح البخاري، الذي تلقته الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل (Al-Nawawi, 1985) .

يقول ولي الله الدهلوي (ت: 1176هـ)، أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيها من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع، متبع غير سبيل المؤمنين (Wali Allah, 2005) .

ولما عجز المشاغبون عن الطعن في الأحاديث الصحيحة المسندة المرفوعة في صحيح البخاري، أخذوا يقدحون في هذا الكتاب عن طريق تضخيم بعض النقولات الواردة فيه، والتي ليست على شرط البخاري-مع علمهم بهذا فمنهم أهل اختصاص-

ليشاغبوا على البخاري وصحيحه

وخطورة الأمر ليس من ناحية حديثية فقط، بل إن موضوع هذا البحث مسألة عقدية تقدح في مقام النبوة، لم يذكرها البخاري مسندة أو مرفوعة أو متصلة، إلا أنهم جعلوا منها حديثاً صحيحاً ليتوصلوا بذلك إلى الطعن في صحيح البخاري، والأصل أن يرفضوها لأنها تمس مقام النبوة، إلا أنهم آثروا أن يظهروها على خطورتها العقدية وضعفها العلمي.

والمسألة المقصودة هنا هي: ما ذكره البخاري بلاغاً، عن الإمام الزهري، في همّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالانتحار بعد أن فتر الوحي عنه.

لذا جاء هذا البحث ليدفع عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– تلك التهمة النكراء، وبيان ما فيها من مسائل عقدية تقدح في عصمة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، ولينصف البخاري، ويبرءه من طعون المغرضين.

المنهج الذي اعتمده الباحث:

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التاريخي التحليلي، بتتبع النصوص التي أوردت الشبهة، وتحليلها، وإظهار المآخذ عليها، ونقدها نقداً علمياً يخدم هدف البحث.

خطة البحث:

جاء البحث: بمقدمة، ومبحثين، وخاتمة ذكر بها أهم النتائج، على النحو الآتي: المبحث الأول: ذكر مرويات حكاية التردي، وحكمها، ومن رواها من أهل العلم. المبحث الثاني: المخالفات العقدية التي تحويها حكاية التردي.

المبحث الأول: ذكر مرويات حكاية التردي، وحكمها، ومن رواها من أهل العلم

إن قصة التردي، لا تستحق أن تسمى رواية، لأن الرواية عادة لها سند يحكم عليه، بالصحة أو الضعف، وحكاية التردي لا سند لها يحكم عليه، فهي حكاية تحكى لا رواية تدرس، وهذا اسمها في البحث.

وأما مروياتها فقد أورد البخاري هذه الحكاية في كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله–صلى الله عليه وسلم– من الوحي الرؤيا الصالحة" برقم (6581). ولفظـــــه: قال الزهـــري (Ibn Hajar, 1999):... فأخبرني عروة عن عائشة– رضي الله عنها– أنها قالت...وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي– صلى الله عليه وسلم–، فيما بلغنا، حزناً؛ غدا منه مراراً، كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى منه نفسه، تَبَدى له جبريل، فقال: "يا محمد، إنك رسول الله حقاً؛ فيسكن لذلك جأشه، وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي، غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدى له جبريل، فقال له: مثل ذلك (Al-Bukhari, 1422)

- يقول الألباني (Al-Albani, W.D) في ذكر روايات هذه القصة:

... وهكذا أخرجه بهذه الزيادة أحمد (233/232/6) وأبو نعيم في الدلائل (ص68-69) والبيهقي في الدلائل (395/1-393) من طريق عبد الرزاق عن معمر به، ومن هذه الطريق أخرجه مسلم (98/1) لكنه لم يسق لفظه وإنما أحال به على لفظ رواية يونس عن ابن شهاب، وليس فيه الزيادة، وكذلك أخرجه مسلم وأحمد (223/6) عن طريق عقيل بن خالد: قال ابن شهاب من دون الزيادة، وكذلك أخرجه البخاري في أول الصحيح عن عقيل به، وبعد أن ساق الألباني روايات القصة، شرع في بيان سبب ضعفها فقال: قلت: "ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين: الأولى: تفرد معمر بها دون يونس بن عقيل، فهي شاذة (Sakhawi, 2001) .

الثانية: أنها مرسلة معضلة، فإن القائل فيما بلغنا، إنما هو الزهري، كما هو ظاهر في السياق، وبذلك جزم الحافظ في الفتح (302-12)، وقال: وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، ثم قال- أي الألباني-بعد ذلك بأسطر قليلة،،، واعلم أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها، كما بينته في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (4858)" (Al-Albani, W.D) .

ونخلص مما سبق أن حكاية التردي لا تصح من أي وجه، وأن الراوي ليس الإمام البخاري، وليس من أحاديثه التي يعتمد عليها، أو على شرطه، وأن راوي حكاية التردي هو الإمام الزهري الذي يرويها بلاغاً دون سند يرجع إليه، وفي الآتي بيان حكم بلاغات الإمام الزهري.

أولاً: حكم بلاغات الزهري في البخاري:

قبل الحديث عن حكم بلاغات الزهري في البخاري لا بدّ من بداية من تعريف هذه البلاغات: ثم الحديث عن بلاغات الزهري بشكل خاص.

البلاغ في اللغة والاصطلاح:

1. البلاغ في اللـــغة: بلغ المكان: وصل إليه، ... وبلغ الغلام: أدرك، والإبلاغ والتبليغ: الإيصال.(Al-Razi, 2001)
2. والبلاغ في الاصطلاح: الحديث الذي يروى بلاغاً يدرج ضمن الأحاديث الضعيفة؛ لأن راوية لا يذكر له سند متصل لُيدرَس إسناده ويحكم عليه بالقبول أو الرد. لذا أدرج العلماء البلاغات

تحت الحديث المعضل، والمعضل هو: بفتح الضاد: يقولون أعضله فهو معضل، وهو ما سقط من إسناده اثنان أو أكثر، ويسمى كذلك مرسلاً،... وقيل إن قول الراوي (بلغني)... يسمى معضلاً عند أصحاب الحديث (Suyuti,W.D) .

يتضح مما سبق أن قول المحدث بلغني في أي رواية، يجعل من هذه الرواية ضعيفة لا تقبل، وذلك لانعدام سندها، أو فقد جزء يتعذر معه الحكم على الحديث، كما في حكاية التردي.

ثانياً: حكم بلاغات الزهري:

تمتاز بلاغات الإمام الزهري أنها في غاية الضعف، وقد حكم عليها المحدثون بأنها شر أنواع المراسيل، قال الإمام يحيى بن سعيد (Al-Dhahabi, 1985) مرسل الزهري شر من مرسل غيره، لأنه حافظ وكل ما يقدر أن يسمى سمى، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه" (Al–'aswad, S. 2011). وحكاية التردي من بلاغات الإمام الزهري، ومن شر المراسيل وهي فاقدة للسند ومنقطعة ومعضلة، وهذا الأمر كافٍ في رد هذا البلاغ، ومن ثم رد حكاية التردي.

وبعد بيان حكم بلاغات الزهري، أعرض رأي الإمام الألباني في قصة التردي، حيث قام– رحمه الله– بجمع الروايات المتعلقة بحديث التردي ثم بين ضعفها، وعلق على هذه الروايات بقوله:" نستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين:

الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل، فهي شاذة.

الثانية: أنها مرسلة (Modern Sender Open The Repertoire, Previous Reference, C1 p. 152) معضلة (Fath al-Mughaith, previous reference, c1 p. 176)، فإن القائل: فيما بلغنا، إنما هو الزهري كما هو ظاهر من السياق، وبذلك جزم الحافظ في الفتح (Al-'asqalani, 1379) ، وقال: "وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً" (Al-Albanian, 1420).

من ذكر حكاية التردي من العلماء:

لقد تساهل كثير من العلماء في ذكر حكاية التردي في مؤلفاتهم، وذِكرُها من دون التعليق عليها يُوهم القارئ بصحتها، وسلامة نسبتها إلى البخاري، والأولى عند ذكرها التنبيه على ما فيها من ضعف إبراء لذمة الناقل. ومن العلماء الذين ذكروها:

1. ابن كثير– رحمه الله– ذكرها في البداية والنهاية ولم يشر إلى صحتها أو ضعفها ولا إلى أقوال العلماء فيها (Ibn Katheer, 2010) .
2. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي– رحمه الله– فيقول في كتابه "فقه السيرة النبوية"، "لما انفصل الوحي عنه بعد ذلك مدة طويلة، وجزع–النبي صلى الله عليه وسلم–بسبب ذلك جزعاً عظيماً؛ حتى إنه كان يحاول كما يروي البخاري أن يتردى من شواهق الجبال..... ثم يتحول القلق لديه إلى خوف في نفسه، من أن يكون الله عز وجل قد قلاه، بعد أن أراد أن يشرفه بالوحي والرسالة، لسوء قد صدر منه، حتى لقد ضاقت الدنيا عليه، وراحت تحدثه نفسه كلما وصل إلى ذروة جبل أن يلقي نفسه منها (Al-Buti, 2003) . ولم يكتف البوطي–رحمه الله– بذكرها، بل أيضاً لم يبين حكمها، ونسبها إلى البخاري، وأضاف على ذلك، أنه شرع في تحليل الحالة النفسية للنبي–صلى الله عليه وسلم–بالاعتماد على الحكاية، مبيناً سبب محاولة الانتحار من ناحية نفسية.
3. صفي الرحمن المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم، وكتابه جيد، وقد نسب القصة إلى الإمام البخاري، ولم يشر إلى أن النص هو من بلاغات الزهري – رحمه الله–، والقارئ يظنها من أحاديث البخاري، ويسلم بصحتها بناءً على ذلك (Al-Mubarakfuri, W.D) .
4. المستشرق رونالد فيكتور بودلي: ذكر حكاية التردي في كتابه (حياة محمد) وقد اعتمد عليها في بناء بعض القصص التي لا تليق بمقام النبوة، وفي سرده تحامل على مقام النبوة وانتقاص لشخص رسول الله– صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بحكاية التردي:

بعد إثبات ضعف حكاية التردي، وبيان رأي المحدثين بها، وأنها لا تصح بوجه من الوجوه. إلا أن الأمر لا يتوقف عند رأي المحدثين بقصة التردي، بل إن في هذه القصة مزالق عقدية تنافي مقام النبوة الشريف، فلو سلمت من نقد المحدثين لم تكن لتقبل عند علماء العقيدة؛ لاحتوائها على أخطاء عقدية، تمنع الأخذ بها، وسوف أعرضها في الآتي.

أولاً: حكاية التردي فيها طعن بعصمة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"... فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر والصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام،.. .وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها ولا يقولون، إنها لا تقع بحال (Ibn Taymiyyah, 2000).

بناء على قول شيخ الإسلام في أن ما يصدر عن الأنبياء والرسل، إما من الكبائر، وإما من الصغائر، فأما الكبائر فهم معصومون عنها من الله –عز وجل–، وهو رأي معظم أمة الإسلام ونقل الإجماع عليه (Judge Iyad, W.D)، وأما الصغائر، فهم غير معصومين عنها وقد تقع منهم، ولكنهم لا يُقَرون عليها.

ويقول ابن عطية في تفسيره عن عصمة الأنبياء: "وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر، ومن الصغائر التي فيها رذيلة، واختلف في غير ذلك من الصغائر، والذي أقول به: أنهم معصومون من الجميع" (Ibn 'atiya, 2001) .

وعلى رأي ابن عطية، فإن الأنبياء معصومون من الكبائر، والصغائـــــر، وكل توجيه رباني في كتاب الله لرســـول الله– صلى الله عليه وســـلم– ما هو إلا من باب العتاب الرقيـــق". (Ibn taymiyah, 2000).

والمراد، أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، معصوم من الكبائر وقتل النفس. ومحاولة الانتحار من الكبائر، فكيف يذهب بعضهم–ولـــو احتمالاً– إلى أن رسول الله– صلى الله علـــيه وسلم، هَمَّ بفعل كبيرة، بل إن ابن حزم، قد ذهب إلى عصمة الأنبيـــاء والرســـل قبل النبوة، إذ

يقول: "... فبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم–أي الأنبياء والرسل– قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة" (Al-Matrafi, 1402) .

وقال قبلها: "ومن الباطل المحال أن تتم نعمة الله على عبد ويعصي بما كَبُرَ أو صَغُرَ، إذ لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة، بل ناقصة إذ خذله فيما عصى الله فيه" (Ibn Hazm, 1428).

نخلص مما سبق أن حكاية التردي طعن في عصمة النبي– صلى الله عليه وسلم– وفي القول بها اتهام للنبي–صلى الله عليه وسلم– أنه كان يهم بالكبائر ويكرر ذلك الهَمَّ، وهذا لا يليق بحال النبوة والرسالة التي أكرمه الله عز وجل بها.

ثانياً: امتناع الوحي ليس هو أصعب ما واجه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:

إن من نسب محاولة الانتحار لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– علل ذلك بشدة الحسرة التي أصابت رسول الله لظنه أن النبوة قد ذهبت منه، مع أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– حين سئل عن أشد ما واجهه في دعوته لم يقل: انقطاع الوحي، حتى هممت بالانتحار، بل قال حين سألته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–: يا رسول الله– هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة! إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة تظلني، فنظرت، فإذا فيها جبريل فناداني فقال: "إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، أن أطبق عليهم الأخشبين قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً" (Al-Bukhari, W.D) .

فهذا الجواب من رسول الله –صلى الله عليه و سلم–، لأم المؤمنين، يبين أن أشد ما مر به ليس انقطاع الوحي، كما في حكاية التردي؛ بل إن أشد ما لقيه عليه الصلاة والسلام، هو صد ابن عبد يا ليل له، حتى نزل جبريل عليه السلام وملك الجبال ليواسياه، فالمدعي أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– همَّ بالانتحار لشدة انقطاع الوحي عنه، لم يأخذ بما صح أن أشد ما واجه رسول الله هو صد ابن عبد ياليل له.

ثالثاً: قريش لم تعب على رسول الله– صلى الله عليه وســـلم– محاولة التردي لأنها غير موجودة أصلاً

لقد سعت قريش لمحاربة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بكل طريقة ممكنة، مثل النقاش والجدال، وكذلك باستعداء القبائل عليه، واتهمته بالسحر والكهانة، وادعاء أنه مجنون، أو به مسّ من الجن، وفشلت في كل ذلك؛ فحاربت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بالسيف والرمح، وبذلت دماء أبنائها وأعز أموالها.

ولو كانت حكاية التردي حقيقة، لما ترددت قريش في أن تعيب على رسول الله– صلى الله عليه وسل– فعله ذلك، ولو حاول رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الانتحار لفرحت بذلك قريش، وشهّرت برسول الله، واتخذت من ذلك ذريعة لصد الناس عن النبي–صلى الله عليه وسلم– فكيف يؤمن الناس بدعوة من حاول الانتحار.

وهنا كيف تخفى حكاية الانتحار على قريش، ولم تعاير رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بها ثم يأتي من بعدهم من ينسب هذه الحكاية إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ؟!.

رابعاً: حكاية التردي تنافي صفة القوة التي يجب على الأنبياء التحلي بها:

إن محاولة الانتحار علامة ضعف في العزيمة، وخور في القوة، صاحبها لا يُعتمد عليه في بناء بيت، أو قيادة عائلة، فكيف يعتمد عليه في تحمل عقيدة، وقيادة أمة ؟!، يقول الله عز وجل: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" (AlMuzzammil: 5).

فالعقيدة الموحى بها، وتبليغها للخلق، وتحمل ما يلحق بسبب ذلك، كل هذا يتطلب صفات قوية في المسلم، ومحاولة الانتحار تنفي كل تلك الصفات الحميدة.

يقول الأستاذ الدكتور عمر الأشقر: "الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لا بدّ منها لتحمل الرسالة ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية" (Al-'ashkar, 1989) .

ومحاولة التردي تبطل كل هذه الصفات، وتنسب إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– الضعف، والخوف، والعجز عن القيام بشرف مقام النبوة، وما تتطلبه من قوة وصبر عليها.

وفي كل قصص الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم لم يذكر أن نبياً أو رسولاً قد هم بالانتحار، ونسبة محاولة الانتحار لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– تجعله أضعف الأنبياء والرسل–عليهم السلام– وأعجزهم عن تحمل الرسالة. فالضعف والانتحار، صفات لا تليق بالقادة والحكماء والمصلحين ولا تليق بمقام النبوة بأي حال من باب أولى.

خامساً: قصة التردي تنافي صفة الصبر التي يتحلى بها الأنبياء–عليهم السلام–:

قال تعالى: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ" (AlAhqaf: 35) .

إن الصبر خلق الأنبياء في دعوتهم، والإنسان من دون صبر يطغى ويرتكب الكبائر، فإن استغنى عن الصبر كان مآله لا محالة إلى الشر والطغيان، فكيف يطغى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ويتخلى عن الصبر؟! وأول ما أنزل إليه هو التحذير من الطغيان قال تعالى "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى" (سورة العلق). فكيف يطغى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ويفقد الصبر ويسعى للانتحار. وحكاية التردي فيها دلالة كبيرة على أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–حاشاه –عديم الصبر –، وأنه كثير الجزع؛ لتكرار محاولة الانتحار منه أكثر من مرة، كما تزعم حكاية التردي.

سادساً: حكاية التردي تنافي اصطفاء الله عز وجل لرسله:

قال تعالى: "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (AlHajj, 75)

يقول الإمام الرازي (ت606هـ): "هذه الآيات دالةٌ على كونهم موصوفون بالاصطفاء والخيرية، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم"(Al-Razi, 1420) . فالنبوة والرسالة لا يمنّ الله عز وجل بها على أحد إلا لسابق علمه تعالى بأن هذا المصطفى قادر على حمل هذه الرسالة وأداء هذه الأمانة، والاصطفاء في اللغة من الصفو، يقول الراغب الأصفهاني (ت502هـ): "الاصطفاء تناول صفو الشيء،...واصطفاء الله بعض عباده، قد يكون بإيجاده تعالى صافياً عن الشـــوب الموجود في غيره" (Al-Asfahani, W.D) ، فالله تعالى أعلم بخلقه: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (AlMulk, 14)، والله تعالى يعلم من هو القادر من عباده على تحمل الرسالة، ويعلم مَن مِن

خلقه، قد كملت به الصفات اللازمة لتحمل النبوة، وأعبائها فيمن عليه بالرسالة ويرسل إليه الوحي قال تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (AlAn'am, 124).

فالله تعالى يعلم أن رسوله– محمداً صلى الله عليه وسلم– قادر على تحمل أعباء الوحي، وقادر على تبليغ الرسالة، لذا اصطفاه رسولاً، وأرسل إليه جبريل عليه السلام بالوحي، ليبلغه للناس كافة، لذا فإن من ينسب لرسول الله محاولة الانتحار، يطعن من طرف خفي في اصطفاء الله تعالى لرسله وأنبياءه. وكأن الله تعالى اصطفى من لا يحمل عبء الوحي وتبليغه، أو غاب عن علمه عدم أهلية من اصطفاه للقيام بهذه الأمانة – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–.

سابعاً: حكاية التردي تنفي صفة التبليغ عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

يقول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" (AlMa'idah: 67).

تحمل الآية الكريمة أمراً لرسول الله–صلى الله عليه وسلم– يلزمه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، "فالمسلمون متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن ربهم"(Ibn Taymiyah, W.D) .

فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله، فإن عقاب الله يحل بذلك الكاتم المغير قال تعالى: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)" (AlHaqqah).

فإذا كان عدم التبليغ يستحيل على الأنبياء والرسل وتوعد الله من يكتم علماً من الدين، وحكاية التردي لم يذكرها رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في أي وقت في زمن بعثته، مع احتوائها على كثير من المسائل العلمية، والعملية فهل كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– كاتماً للعلم؟ وممتنعاً عن تبليغ الدين للمسلمين؟ –حاشاه عليه السلام من ذلك–.

فالقائل أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قد هم بالانتحار يُعد متهماً لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– بأنه كتم الدين، ولم يبلغ كما أمره الله عز وجل، لأن حكاية التردي لم يذكرها،

رسول الله– صلى الله عليه وسلم– طيلة فترة بعثته، التي امتدت ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً، وهنا لم يذكرها عليه الصلاة والسلام لأنه كتم علماً ولم يبلغه ؟!– حاشاه عليه السلام من ذلك– أم أنه لم يذكرها؛ لأنها في أصلها غير موجودة ولم تصدر منه أصلاً!.

وقد كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حريص على تبليغ الأمانة، والصدق في تبليغ الرسالة، حتى ولو كان فيها لوم عليه، أو عتاب له ، كما في قوله تعالى:

"عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" (AtTaubah, 43). فلم يكتمها رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على ما فيها من عتاب له والأمثلة الدالة على حرص رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على التبليغ لكل مسائل الدين كثيرة، ولو حدثت حكاية التردي لأخبر بها رسول الله– صلى الله عليه وسلم– كما أخبر بغيرها.

ثامناً: حكاية التردي تخالف القرآن الكريم والسنة النبوية في عدد مرات رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم– لجبريل عليه السلام على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها:

ثبت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أن سيدنا محمداً– صلى الله عليه وسلم– رأى جبريل عليه السلام على هيئته مرتين لا ثالث لهما، وحكاية التردي تضيف مرة ثالثة مخالفة بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية. فأما القرآن الكريم فهي في قوله تعالى: "وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14)" (AnNajm)، وقد أورده الطبري من حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – حين سألها مسروق عن قوله تعالى: "وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى" "وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) التكوير" قالت: إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. "قالت: أنا أول من سأل النبي– صلى الله عليه وسلم– عن ذلك: فقال: لم أر جبريل على صورته إلا هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض (Al-Tabari, W.D) .

فالثابت في الكتاب والسنة أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– رأى جبريل عليه السلام على خلقته مرتين فقط، وقد عدّ الإمام السيوطي رؤية رسول الله–صلى الله عليه وسلم– لجبريل عليه السلام مرتين أنها من خصائصه –صلى الله عليه وسلم– ولم يذكر السيوطي مرة ثالثة فقال: أخرج

أحمد وابن أبي حاتم والشيخ في العظمة عن ابن مسعود أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، لم ير جبريل في صورته إلا مرتين (Ibn Hanbal, 2001) .

فإذا ثبت ذلك، فإن حكاية التردي تثبت مرة ثالثة، لم تذكر في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، فخالفت بذلك الوحي من كتاب وسنة؛ لذا وجب رد هذه الرواية.

تاسعاً: حكاية التردي هل وقعت؟ أم الصحابة كتموا العلم؟

حرص صحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على تبليغ كل ما تحملوه عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إلى الأمة الإسلامية، وما كتموا شيئاً منه مهما قل أو صغر، وقد شجعهم رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على ذلك بقوله: "بلغوا عني ولو آية" (Al-Tirmidi, W.D) .

وما كان لصحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أن يكتموا علماً عن رسول الله وهم يتلون قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)" (Al-Baqarah). لذا حرص الصحابة – رضوان الله عليهم– على تبليغ كل العلم الذي لديهم، ولو في آخر أنفاسهم في الحياة".

مثل حديث معاذ– رضي الله عنه– في قوله– صلى الله عليه وسلم– ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار، فقال معاذ: "يا رسول الله: أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: لا، إني أخاف أن يتكلوا عليه". فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً(Al-Bukhari, W.D) . فأخبر معاذ– رضي الله عنه– بهذا الحديث في آخر عمره، خوفاً من إثم ترك تبليغ العلم. وحكاية التردي لم يذكرها أي صحابي في أي زمن من عمره ولا في أي بقعة من الأرض، فهل هذا كتم جماعي من الصحابة– رضوان الله عليهم– لحديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وحاشاهم أن يفعلوا ذلك– أم أن قصة التردي لم تحدث أصلاً ؟! ولو حدثت لأخبر بها صحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وما كتموا علماً أو ديناً لعظيم أمانتهم.

عاشراً: حكاية التردي فتحت الباب لأعداء الإسلام للطعن في سنة نبينا–عليه الصلاة والسلام–.

يترصد أعداء الإسلام لأي موقف ينفذون منه للطعن بالإسلام والمسلمين، وبحثوا في التراث الإسلامي عن أي حادثة من شأنها تدعيم ضلالاتهم من جهة، والإساءة للإسلام من جهة ثانية،

وحكاية التردي تلقفها بعض المغرضين، وتمادوا فيها، ونسبوا إلى النبي–صلى الله عليه وسلم– النقائص، والمعايب بسبب هذه القصة، ومثال ذلك:

المستشرق رونالد فيكتور بودلي، رف بودلي (Bodley, W.D)

فقد أورد هذا المستشرق حكاية التردي بأسلوب قصصي مبتذل، متهماً رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بنفاذ الصبر، والقلق، واليأس، والكهانة، والخجل من نفسه، والشلل، وأنه يعاني من أزمة نفسية حادة... وغيرها من الأباطيل التي بناها على حكاية لا تثبت بأي سند (Hamdan, W.D) .

وهذه الأكاذيب على وضوحها، قد يصدقها بعضهم حين يرى أن بعض الفضلاء –من المسلمين– قد أوردوا القصة في كتبهم بحسن ظن منهم، وهم لا يعلمون أن فعلهم هذا سوف يقود أعداء الإسلام للطعن برسول الله–صلى الله عليه وسلم– ونبوته.

ويقصد المستشرق (بودلي) في كتابه (حياة محمد)، إلى أن الوحي ما هو إلا حالةٌ نفسيةٌ، شخصيةٌ، داخليةٌ، لا ترتبط بأي عامل خارجي كالوحي، ليرفعوا عن سيدنا محمد– عليه الصلاة والسلام– صفة النبوة، ويكون آخر الأنبياء هو سيدنا عيسى عليه السلام. وقد رد على هذه الشبهة الشيخ "محمد رشيد رضا" في كتابة الوحي المحمدي (Rida, 1406) .

حادي عشر: معنى الهم المذكور في حكاية التردي

جاء في الصحـــاح للجوهري (ت: 393هـ) هممت بالشـــيء أهـــم هماً: إذا أردتـــه (Al-Jawhari, 2008). وفي الفروق اللغوية للعسكري (ت: 395هـ)، الهم: هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب. وينقل ابن تيمية عن الإمام أحمد في بيان معنى الهم فيقول: الهم همان: هم خطرات وهم إصرار فعلى فرض صحة حكاية التردي، فإن الهم الوارد في القصة، هو من باب هم الخطرات، الذي كان الباعث إليه هو ما رواه العسكري حين قال: الهم الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب كما سبق، فهو مجرد خاطر يرد على النفس رغبة في طلب ما تحب ودفع ما تكره، ولم يكن بأي حال من باب الإصرار من رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على الانتحار.

ثاني عشر: سبب حكاية التردي عند القاضي عياض

يقول القاضي عياش بكتابه الشفا في حقوق المصطفى بعد أن سابق بلاغ الزهري: "... مع أنه يحمل على أنه كان أول الأمر أو أنه فعل ذلك لما أخرجه من تكذيب من بلغه، كما قال تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً"، (AlKahf, 6)، أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه، فخشي أن تكون عقوبة من ربه فعمل ذلك بنفسه، ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعرض به.(Judge 'iyad, W.D) .

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج:

1. إن حكاية التردي لا تثبت بوجه، وهي من بلاغات الإمام الزهري، الذي ضعف أهل العلم بلاغته، وقد ضعف هذه الرواية كل من الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ الألباني وقالا هي: شاذة ومرسلة.
2. إن بعضاً من أهل العلم قد نقلوا هذه الرواية في كتبهم، وبنوا عليها أحكاماً تقدح بمقام النبوة، والأولى بهم أن يبحثوا بسندها وحكمها.
3. إن حكاية التردي فتحت الباب لأعداء الإسلام للطعن في النبي والنبوة.
4. إن حكاية التردي تخالف ما ينبغي أن يكون عليه النبي من العصمة، والقوة ، فالانتحار كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر.
5. إن حكاية التردي لم ترد على لسان أي من كفار قريش، مع حرصهم على مخالفتهم ومحاربتهم لرسول الله–صلى الله عليه وسلم– بكل الأساليب، وهذا دليل على عدم حصول هذه القصة أصلاً.
6. إن حكاية التردي تخالف ما ثبت من أن رؤية النبي–صلى الله عليه وسلم– لجبريل عليه السلام على حقيقته مرتين فقط، وحكاية التردي تزيد عدة مرات مخالفة ما ثبت في السنة النبوية.

7. إن حكاية التردي فيها اتهام لصحابة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بأنهم علموا هذه الحكاية ولم يخبروا بها.
8. إن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لم يخف عتاب الله عز وجل له في أكثر من موضع في كتاب الله، فلِمَاذا يخفي حكاية التردي لو أنها حصلت فعلاً؟.
9. إن أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– سألت رسول الله عن أشد المواقف في دعواته فكان الجواب هو رد ابن عبد ياليل له، ولم يحاول بعده الانتحار، وليس قصة انقطاع الوحي، وهمه عليه السلام كما يزعمون بالانتحار.

References:

Al-Albani, M. (W.D). Silsilat al-ahadith al-da'ifa wa al- mawdu'a (1st ed), Knowledge house, Riyadh.

Al-Albani, Muhammad Nasir al-Diyn, (W.D). Difa' 'an al- hadith, Al - Khafiqayn Foundation.

Al-Asfahani, Hussein Bin Mohammed (W.D). Al- mufradat fi gharib al-qur'an, Library nizar mustafa al- baz.

Al-'ashkar, O. (1989). Al- rusul wa al- risalat (4th ed), Al-nafa'is house.

Al-'askari, Hassan Bin Abd Allah (W.D). Al-furuq al- lughawiyyah, (Investigation: Mohammed bin ibrahim), House of science and culture for publication and distribution.

Al-'asqalani, Ahmed bin Ali bin Hajar, (1379). Fath al-bari sharh sahih al-bukhari, Beirut : Knowledge house .

Al–'aswad, S. (2011). Blaghat al- 'imam al- zuhri wa 'idragatuhu fi sahih al-bukhari, Islamic University, 19 (2), p:575- 626.

Al-Bukhari, M. (1422). Sahih al-bukhari(1st ed), Tawq al-Najat House.

Al-Buti, M. (2003). Fiqh al- sirah al- nabawiyyah(11th ed), Contemporary thought house, Beirut: Thought house.

Al-Dhahabi, Mohammed Bin Ahmed (1963). Mizan al-i'tidal fi naqd al-rijal(1st ed), Knowledge house printing and publishing.

Al-Dhahabi, Mohammed bin Ahmed bin 'uthman, (1985). Siyar a'lam al nubala' (3rd ed), Al-risalah printing house, (Investigation: Shu'aib al-arna'ut and others.

Al-Jawhari, Ismail Bin Hammad. (W.D). Al- sihaah taj al-lughah wa sihah al-'arabiya (4th ed), (Investigation: Ahmed abd al- ghafoor), Beirut : House of science for millions,.

Al-Matrafi, A. (1402). Ayat 'itab al – mustafa fi daw' al- ismah wa al- ijtihad (1st ed).

Al-Mubarakfuri, S. (W.D). Al- rahiq al- makhtum, Nizar Library, Mustafa Al-Baz House.

Al-Nawawi, Yahya Bin Sharaf, (1985). Al- taqriyb wa al- taysyr (1st ed), Arabic book house.

Al-Razi, Mohammed Bin Abi Bakr, (2001). Mokhtar al-sihah (2nd ed), Cultural Books Foundation.

Al-Razi, Mohammed Bin Omar ,(1420). Mafatih al- ghayb (3rd ed), Beirut: Arab heritage revival house,.

Al-Tabari, Mohammed bin Jarir(W.D). Gami' al- bayan fi tafsir al- qur'an(1st ed).

Al-Tirmidi, Mohammed bin 'isa (W.D). Gami' al-tirmidi, (Investigation: Muhammad nasir al-din al-albani), Ideas international house.

Bodley, R. (W.D). The prophet (Muhammad's life), (Translated by: Mohamed Faraj and Abd al-Hamid al- Sahar), Egypt library.

Hamdan, N. (W.D). Al- rasul fi kitabat al- mustashriqin, The publications of the muslim world League.

Ibn 'atiya, Abd Al- Haq bin Ghalib al- Andalusi, (2001). Al- muharar al-wagiz fi tafsir al- kitab Al- 'aziz(1st ed), (Investigation: Abd al-salam abd al - shafi mohammed), Scientific book house.

Ibn faris, Abu al-Hussein, (2008). Mu'jam maqayis al- lughah, Al- Hadith house, Cairo, without edition.

Ibn Hajar, Ahmed bin Ali, (1999). Taqriyb al- tahdhib(1st ed), (Investigation: 'Adel morshed), Message foundation

Ibn hanbal, Ahmad, (2001). Al- musnad(1st ed), (Investigation: Sho'aib al-arna'ut), Al-risala foundation.

Ibn hazm, Ali Bin Ahmed al- Andalusi, (1428). AL–fisal fi al-milal wa al-ahwa' wa al- nihal (3rd ed), Beirut: Scientific book house,.

Ibn katheer, Isma'il, (2010). Al- bidayah wa nihayah(1st ed), Cairo: Ibn al-jawzi house,.

Ibn Majah, Muhammad Bin Yazid al-Gharnawi (W.D). Sunan ibn majah (1sted), (Investigation: Muhammad nasir al-Din al-Albani), Knowledge library for publishing and distribution.

Ibn taymiyah, Ahmed Bin Abd al- Halim, (2000). Majmu' al- fatawa(2nd ed), Al-wafa house and Ibn hazm house.

Ibn taymiyah, Ahmed bin Abd al- Halim (W.D). Minhag al- sunna(1st ed), (Investigation: Mohammad rashad salem), Cordoba foundation.

Judge 'iyad, Abu Al-Fadl Al-Yahsubi. (W.D). Al-shifa bi t'rif huquq al-mustafa, Beirut: Scientific book house.

Muslim, Ibn Al- Hajjaj Al- Nisabouri (W.D). Sahih muslim, (Investigation: Mohamed fo'ad abd al- baqi), Beirut: Arab heritage revival house , ,.

Rida, M. (1406). Al- wahi al- muhammadi (2nd ed). 'izz al-din foundation for printing.

Sakhawi, Mohammed bin Abd al- Rahman, (2001). Fath al-mughiyth sharh alfiyyat alhadith, Beirut: Scientific Book House, .

Suyuti, Abd al- Rahman bin Abi Bakr (W.D). Al- khasa'is al- qubra, Beirut :Scientific book house .

Suyuti, Abd Al-Rahman bin Abi Bakr (W.D). Tadrib al- rawi, Tayba House.

Wali Allah al- dahlawi, Ahmed bin Abd al- Rahiym, (2005).Hujat Allah al-baligha (1st ed), (Investigation :A l-sayd sabiq), Beirut: Generation house.

The hadith sent is the saying of the ta'ibi: he said, "Pray and peace, even though he did not meet the Messenger of Allah(peace be upon him) and peace be upon him."See: Fath al-Mughaith, previous reference, c1 p. 152

The dilemma altogether: in the terminology: it is (the fallen of it) i.e. of his attribution (two onwards) i.e. with a straight . See: Fath al-Mughaith, previous reference, C1 p. 176.

Al-Albanian, Muhammad Nasser al-Din (T:1420), defending the Prophet's Hadith and Biography, without edition or history.